

الفينيقيون

مقتولة عن الافرنجية

« صور وقرطاجنة »

وصفها فينيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية وأعلى سلسلة في جبل لبنان. بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل اودية ضيقة ومجار حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسايل من الثلوج. تعبت بها العواصف الى آخر الربيع أما في الصيف فينضب ماؤها إلا ما خزن منه في الآبار والصحاريح. ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم أرز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالغة شاطيء البحر وفي الاودية ينمو الزيتون والكرم والتين والرمان

مدنها - تتألف عن بعد على طول الشاطيء الصخري رؤوس من البحر او جزر منه تكون منها مرافي طبيعية في هذه المواني أقام الفينيقيون مدنهم. فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل وكانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويجلبون الماء لشفاهم في القوارب. أما مدينة جبيل وبيروت وصيدا فكانت في اليبس. ولم تكن أرض هذه البلاد لتقوم باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة. الخرائب الفينيقية - لم يحفظ عن الفينيقيين كتاب فقد ضاعت حتى كتبهم المقدسة. ولقد جرى الحفر في مواضع مدنهم ولكن الخرائب على ما قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم إلا في البلاد المهله المتروكة. على ان السوريين عنوا كثيراً بالخرائب فانتبهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى

زهدموا المهارات ليستعينوا باحجارها على البناء وحطمو النقوش وذلك لكراهة المسلم الصور المنحوتة بحيث لم يبق اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر . اطلال قلما نجدني نفعاً وتأتي العلم بفوائد . وايس ما عرف عن الفينيقيين إلا ما علمناه كتاب اليونان وانباء اسرائيل

حكومة الفينيقيين - لم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل مدينة ناحية صغيرة تستقل بها ولها مجالس وملك يحكم نفسها بنفسها وتبعث بمندوبيها الى أظم مدينة فينيقية لفرض المصالح المشتركة وكانت صور محط رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر . واذ لم يكن الفينيقيون أمة حربية خضمو السطوة جماع الفاتحين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا لهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

صور - كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من أم المدن الفينيقية ضاقت على أهلها فاقامت اذ ذلك مدينة جديدة قبالتها . ولقد أسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيبون الفضة من مناجم اسبانيا وطلع العالم القديم أجمع . دعاهم أشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيهم من كل صوب وأوب وطلب سليمان النبي الى هيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس .

فرطاجنة - كانت هذه المدينة مستعمرة صور فقاتت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فاسسوا مدينة فرطاجنة على شاطئ افريقية بالقرب من تونس بعثهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (الفارة) . ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها إلا مسافة تكفي

لذوية جاد نور ففصلت جلد الثور سيوراً رفيقة بحيث اقتضت مكاناً واسعاً
يستوعبها فبنت القلعة إذ ذلك . ولقد ائتمت قرطاجنة لموقعها في منتصف
البحر الرومي ولان فيها مرفأين فاقامت هي أيضاً مستعمرات وفتحت فتوحاً
حتى آل امرها الى ان حكمت شاطيء افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان
لها في كل مكان مكاتب لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية

الجيش القرطاجني - اقتضى لقرطاجنة ان تدرب لها جيشاً لتصون
مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وتربأ برعاياها عن الانتقاض . ومن ثم
كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها إلا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة
اكتراء الجند فنجندت لها جنداً من البربر سكان بلادها ومن متشردى كل
صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملونة يتكلم اللغات كلها ويدين
بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به تخالف بزة رصيفه
واسلحته . فترى فيهم النوميديين يلبسون جلد الاسد يتخذونه وطاء كما يتخذونه
غطاء . يركبون خيلاً سريمة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم
تعدو عدواً . كما كنت ترى فيهم اللييين وجلودهم سوداء مساحين بحراب .
وطائفة من الايبيريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحجرة وسلاحهم سيف
طويل محدد . وغالين عراة الى الزنار يحملون تروساً كبيرة وسيفاً محدداً
يمكنونه بكتتا يديهم . وجماعة من البالياريين مدرين من طفولتهم على رمي
الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع . أما القواد فكانوا قرطاجنيين يخافهم
الحكومة فترقبهم عن أمم وربما صلبتهم اذا غلبوا ولم يحرزوا نصراً مؤزرأ
القرطاجنيون - كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ
وهو مؤلف من أغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية ينهى بها الى الحكومة

مسألة تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم وغدرهم ولما كان لهم أسطول منظم وعندهم منل يستأجرون به جنداً وحكومة باطشة مهيأ لهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهري شعوب بربرية منشقة على نفسها مختلفة كلتها الديانة الفينيقية - للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بعل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلت هي القمر . والشمر والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة تحيي وتميت . ولكل من المدائن الفينيقية ربان . فلصيدا بعل صيدون (الشمس) وعشروت القمر) وقرطاجنة بعل عمون وتانيت ولجيبيل بعل تموز وباليت . ويختلف اسم الارباب في الاعبارات ايجاداً وعمداً وهكذا يعبد بعل مثلاً في قرطاجنة باسم مولوش ويعتبر عمداً . وقد تنوب عن هذه الارباب أصنام ولها معابد ومذابح وكنية يعظمون من شأنهم ويقيرون لهم المآدب والاعیاد الخافلة باعتبار كونهم موجودين ويقدمون لهم ضحايا بشرية باعتبار كونهم محجرين وتعبد عشروت ربة الصبد العظيمة في الغابات المقدسة ويصورونها على شكل هلال القمر والحمامة ويربم بعل مولوش في قرطاجنة تماثلاً عظيماً من القلز باسطاً ذراعيه ومدليهما واذا ارادوا ان يكتن غنصه يرفعون على يديه اطفالاً تسقط للحال في هاوية من نار . وقد قدم اعيان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحايا للربة مولوش في خلال حصار اغاثوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت عليه من الشهوات وفساك الدماء لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها ويأتمنون بها فكان يذبح اليهود

لجعل على الجبال ويبيد اليونان استارتيه وصبيدون باسم افروديت و ببل ملخارت
من صور تحت اسم هيرا كليس

التجارة الفينيقية

اشغال الفينيقيين - عاش الفينيقيون بالتجارة لازدحام أقدامهم في بقعة
ضيقة من الارض . ولم يكن لسائر شعوب الشرق من مصريين وكلدانيين
واشوريين ولا قبائل الغرب البربرية (الاسبان والغاليين والظليان) عهد
يركوب البحار وشق العباب والفينيقيون وحدهم جروا في تلك الايام على
نجس البحر فصح ان يدعوا من اجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة
البيع والشراء يتاعون من كل شعب سلمه ويتقايضون معه على غلات البلاد
الاخرى . تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق برأ والغرب بحراً
القوافل -- اعتاد الفينيقيون ان يرسلوا في البر قوافل تنجيه وجهات ثلاث
احداها الى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقيق اليباني والبخور والصبر
وعطور بلاد العرب واللؤلؤ والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود
الهند . والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان
والحمر والاحجار الكريمة والماء المطر وحرير الصين . وتقصد القافلة الثالثة
انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخيل والرقيق والاواني النحاسية من
مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز »

بحريتهم - بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المئين قوارب باشرة
ومخاضيف حملوا عليها متاجرم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابدآ على
مقربة من الشواطئ في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حيثما ارادوا بجمل
نجمة القطب قيد نواظرم وكانوا يستدلون بها على الشمال . ولقد فطر

الفينيقيون على الاستخاف بركوب الهم فالفوا بانفسهم في مراكب صغيرة
تقدوهم وروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق
ببل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هيركول » فيجتازون البحر المحيط الى
شواطئ انكلترا وربما بلغوا بلاد النروج . سافرت عصابة منهم في خدة
احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالى افريقية
ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر وغادرت قرطاجنة
حملة ضربت نحو شاطئ افريقية الى خليج غينة . وقد كتب القائد هانون
قصة في هذه الرحلة

البضائع -- كان الفينيقيون يتعاونون بحاصل صناعات الشعوب المتقدمة
ويحشون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاصيل .
يصطادون الصدف من شاطئ بلاد اليونان ومنه يستخرجون صبغاً احمر
وهو الارجوان . وكانت الانسجة الارجوانية تستعمل عند الافدمين كافة
ملابس للملوك والامراء ويحلبون الفضة التي يستخرجها أهل اسبانيا وسردنيا
من مناجمهم وكان القصدير من ضرورياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر
وهو مركب من نحاس وقصدير لا أثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون
يرحلون في طلبه وينشدونه حتى في شواطئ انكلترا في جزائر القصدير
المروفة بجزائر كاسيريد . وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يتعاونونه تارة كما كان
يتباع النحاس المبيد في ساحل افريقية . اذ الشعوب القديمة كلها كانت
تجرب بالرقيق . وينزلون طوراً في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء
والاطفال وينقلون بهم الى بلادهم او يبيعونهم في القاصية . واذا واتهم الحال
ينقلون فرصاناً ولا يتعامون إطالة يد التعدي على الاغيار

سراً اختص به الفينيقيون - لم يعلق الفينيقيون إلا من قيام بحارة لأمم
الآخري إلى منازعتهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والآبار فمن
ثم كانوا يكتبون الطريق التي يسلكونها لأن عودتهم من الاقطار النائية
ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزائر الكاستريد المشهورة التي جلبوا منها
القصدير . وقد رأيت احدى المراكب بلاد اسبانيا التي كانت لها صلات
تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضاً بدون عمل . وكانت قرطاجنة تفرق
من تصادفهم من التجار الاجانب في سردينيا او في ناحية جبل طارق حتى
ان ربان احدى المراكب أغرق سفينته ذات يوم عند ما رأى سفينة غريبة
تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

مستعمراتها - انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي تجروا فيها
وهي مراكز للبرد حصينة واقعة على شاطئ بحر على مرفأ طبيعي يخرجون
اليها بضائهم وهي في العادة انسجة ونغار وحلي واصنام فيأتي أهل تلك البلاد
بفلاتهم فيتايضونهم عليها كما يتايض اليوم تجار الاوربيين بنوح افريقية .
نقام أمثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي
كانت على همجيتها مثل اقریطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية
ومالطة وسردينيا وشواطئ اسبانيا (مالقة وقادس) وربما أقاموها في بلاد
النول (موناكو) وكان أهل البلاد ينون اكوادهم حول بنايات الفينيقيين
فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربه
على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سبتير والرب
ملخارت كما في كورنت ورب ذو جهة ثور بفرنس الضحايا البشرية كما في
اقریطش

نقود الفينيقيين - لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما أسسوا مكاتبهم التجارية إلا الاحتفاظ بمصالحهم الخاصة ولكن حدث أن نفعت مستعمراتهم المدن فان برابرة الغرب اخذوا عن أمم الشرق وكانت أكثر منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا بحكاياتها . مضى حين من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتهم بها الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من مصر واشور الصناعة والبضائع مما

الابجدية - حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج . على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على كلمة برمتها . لا جرم انه انتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة أبسط لكتابة رسائلهم التجارية فاطرحوا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فانتبست الشعوب الاخرى هذه الابجدية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً . فقد كتب اليبود من اليمن الى الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من الشمال الى اليمن وكلهم بدلوا شكل الحروف إلا قليلاً . والخط الفينيقي على التحقيق أصل الابجديات كلها من يهودي ولسي ويوناني وايتاليكي وايتروسكي وايسرسي وربما كان الخط التروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين علموا العالم الكتابة